مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 19 العدد02 2023/06/05
ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بول ريكور: أنثروبولوجيا فلسفية بمصطلحات دينية
Paul Ricoeur: A philosophical anthropology in religious terms

كريب لطفي*
مخبر الفينومينولوجيا وتذبيقاتها، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان
lotfikourib@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/09/04 تاريخ القبول: 2023/01/05

ملخص:

تهتم هذه الدراسة بتتبع الأصول الأنثروبولوجية في بعدها الفلسفي لبعض المفاهيم ذات السمة الدينية مثل: اللاعصمة، الخطأ والشر، والتي عالجها الفيلسوف الفرنسي بول ريكور من وجهة نظر فلسفية تعتمد أساسا على تحليل هذه المفاهيم بغية الوصول إلى أصولها ومحاولة إيجاد حلول لفهمها والتقليل من آثارها السلبية.

وقد أسفرت الدراسة عن نتائج توحي بتجذر هذه المفاهيم السلبية في تكوين الإنسان باعتبارها أصل وطبع لا يمكن استئصالها بقدر ما يمكن التغلب عليها عبر فهمها أولا ثم العمل على تجنبها.

الكلمات الدالة: أنثروبولوجيا فلسفية، بول ريكور، لاعصمة، شر، خطأ.

Abstract:

This study is concerned with tracing the anthropological origins in the philosophical dimension of some concepts with a religious character such as: fallibility, error and evil, which were addressed by the French philosopher Paul Ricoeur from a philosophical point of view based mainly on the analysis of these in order to reach their origins and try to find solutions to understand them and reduce their negative effects.

The study yielded results that suggest the rooting of these negative concepts in the formation of the human being as an origin and nature that cannot be

* **المؤلف المرسل**: كريب لطفي، **الايميل**: lotfikourib@gmail.com

eradicated as much as it can be overcome by understanding it first and then working to avoid it.

Keywords: philosophical anthropology, Paul Ricoeur, infallibility, evil, error.

مقدمة:

يعتبر بول ريكور (1913–2005) واحد من أهم الفلاسفة الفرنسيين المعاصرين، وتبرز أهميته من خلال ثلاثة أوجه تطبع مساره الفكري والفلسفي؛ أولها هو معاصرته لأقطاب الفلسفة المعاصرة في فرنسا وفي ألمانيا. ثانيها: محاورته لكثير من التيارات الفلسفية مثل البنيوية والوجودية، وأخيرا الزخم الكبير الذي ميّز أعماله من حيث الكثرة ومن حيث الثراء والتنوع أيضا.

أما ما يهمنا تبعا لعنوان هذه الدراسة هو ما ظهر على أنه **أنثروبولوجيا دينية فلسفية** التفت إليها بول ريكور في أحد أهم أعماله التي بدأ بها مساره الفلسفي الموسوم بـ: فلسفة الإرادة – الإنسان الخطاء، وهو ما يؤكد كما أسلفنا انفتاحه لا على التيارات الفلسفية فحسب، ولكن كذلك على باقي المباحث الإنسانية الأخرى.

تجدر الإشارة إلى أننا لسنا بصدد أنثروبولوجية دينية فقط، ولا دراسة خاصة برؤية دينية، إنما هي أنثروبولوجيا فلسفية أيضا ودرس فلسفي بامتياز. فهذا الفيلسوف بالرغم من أنه لا يخفي ارتباطه بالدين المسيحي إلا أنه لا يخلط اهتمامه الديني باهتمامه الفلسفي، فلكل سياقه ومجال حضوره وهذا ما يوضحه في ثنايا أحد أعماله بالقول: "أقول بشكل يكاد مفاجئا أنه ليس على قاعدة نفس النصوص أشتغل بالفلسفة وأشعر بانتمائي إلى جماعة وتراث مسيحيين". (بول ريكور، 2011، ص9) أكثر من ذلك هو يعتقد أنه لا مجال لالتقاء الفلسفة والدين، ذلك أنه إذا تمّ ذلك سيكون بصيغة التصادم، بالنسبة إليه وانطلاقا من اهتمامه المشترك بهما (أي الفلسفة والدين، الإيمان والعقل، الانتقاد والاعتقاد) فإنه اهتدى إلى صيغة تجنبه هذه التصادمات ترتكز أساسا على ما سماه هدنة بينهما، يقول في هذا الصدد: "تعلمت طوال مدّة دراستي بالجامعة (رين) كيف أدير حربا داخلية، من هدنة إلى أخرى بين الإيمان والعقل". (بول ريكور، 2006، ص28).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ورغم ذلك فإننا نلاحظ أن أهم المصطلحات التي تضمنتها هذه الأنثروبولوجيا الفلسفية هي مصطلحات ذات حمولة دينية كثيفة، أو لنقل أنها ذات مرجعية دينية واضحة، وسنركز على أهمها وهي ثلاثة: الإنسان خطاء، عدم العصمة وإمكانية الشر.

تقف الحاجة وراء هذا البحث إلى محاولة تفسير الدافع الذي أدى ب: بول ريكور إلى المزاوجة بين النقد الفلسفي والاعتقاد الديني في شرح وتفسير وتأويل بعض المفاهيم الغامضة والحساسة في حياة الإنسان، لما تحمله من انعكاسات خطيرة على مستوى العلاقات بين البشر، خاصة بعد الأحداث الكبيرة التي رسمت تاريخ البشرية ممثلة في الحروب الكبيرة وما انجر عنها من أحقاد دفينة، يقف وراءها في غالب الأحيان فهم معين لمعنى الإنسان، والخلفية الأنثروبولوجية التي تصنع واقعه.

من أجل ذلك تتخذ الدراسة منهج التحليل سبيلا لتتبع المسار الفكري لبول ريكور ورصد الخيط الهادي، الذي من شأنه تذليل الفهم للتصورات الفلسفية العميقة التي رسمها الفيلسوف لمفهوم اللاعصمة التي اعتمدها في أنثروبولوجيته الرامية إلى تفسير هذا المفهوم من جوانب عديدة: إيمانية، عقلية، ونفسية.

I. أنثروبولوجيا الإنسان الخطاء:

1-الخطأ واللاعصمة من منظور ديني:

خلق الله الإنسان ذو طبيعة مزدوجة، فهو من جهة ذو تكوين مادي طيني مع ما تتعرّض له المادة من آفات، وهو من جهة أخرى خلق روحاني، يسمو بهاته الروحانية ليعانق التصوّر الملائكي النوراني. ولكن مشيئة الله في تصوير خلقه اقتضت هذه الازدواجية ممثلة في الروح والجسد.

هذا الإنسان ذو البعد المزدوج، بحكم طبيعته كائن غير معصوم، وغير منزّه عن الخطأ، فالخطأ من صميم إنسانية الإنسان، يصيب ويخطأ، وإذا أخطأ فباب الرجوع عن الخطأ متاح، بل محبب وهو ما يعبر عنه بالمصطلح الشرعي "التوبة".

لهذا جاء في الحديث النبوي الشريف: "كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون". أكثر من ذلك وبحسب المنظور الديني محكوم على الإنسان بالخطأ، وهو وارد في طبعه إلى الدرجة التي جاء فيها حديث شريف يربط بين الوجود الإنساني واقتراف الخطأ والرجوع عنه وطلب الصفح والغفران من الله. "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم غيركم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم". ومثلما يقترف

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الإنسان الخطأ فإنه يقوم بالصواب، فهو يقوم بالاثنين إلاّ أنه من وجهة نظر دينية فالخطأ يسبق الصواب ومحاولات التصويب تأتي لتصحيح الخطأ.

تبقى الإشارة إلى أمر مهم، بالنسبة للدين فإنه مثلما أن الإنسان غير محصّن من الوقوع في الخطأ وارتكاب الذنوب، أي أنه غير معصوم من الخطأ فإن الله قد خصّ الأنبياء بالعصمة وجعلهم معصومين من الخطأ.

وعليه فالعصمة لغة هي المنع. ففي لسان العرب العصمة في كلام العرب: "المنع، وعصمة الله عبده؛ أن يعصمه مما يوبقه، يقال: عصمه يعصمه عصما، منعه ووقاه".

وأما في الشرع فالعصمة: "لطف من الله تعالى، يحمل النبي على فعل الخير ويزجره عن الشرّ، مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء". (شهاب الدين، 2001، ص39). وعلى هذا الأساس فإنه لا عصمة إلاّ لنبي. ولقد خصّهم الله بها لأسباب أوردها العلماء منها: تميّزهم على سائر البشر، فإن لم يكن لهم فضل ولا مزية فلن تتحقق حكمة الاقتداء بهم، ولأن الاعتقاد بعدم عصمة الأنبياء يترتب عنها إمكانية نسبة الخطأ لهم أو الزيادة والنقص في التشريع، وهذا قدح في تبليغهم الرسالة وتأديتهم الأمانة، وهذا لا يجوز في حقهم لأن الله عصمهم من ذلك.

الواضح إذن أن مفهوم اللاعصمة في بعده الديني يعود بنا إلى التسليم بالتركيبة الخَلقية للإنسان، فهو (أي الإنسان) مخلوق يحمل في طبيعته إمكانية الخطأ، وبالتالي قد تكون هذه الإمكانية مبررا كافيا من أجل التهرّب من المسؤولية أو نفي الحرية عند ارتكاب الأخطاء والشرور. وهذا بالذات ما تنفيه الأحكام الصريحة في النصوص الدينية؛ فالثواب والعقاب والقصاص وغيرها هي الأحكام التي تصدر في حقّ الآثم ومرتكب المعاصي سواء كانت في حق الله، أي ما تعلق بالتوحيد والعبادات والفرائض، أو ما ارتبط بحقوق البشر من تعاملات، فإن موقف الدين واضح بأن جعل لكل خطئ عقاب وشدّد على المتمادي فيه. من هنا تظهر إشكالية مفهوم اللاعصمة في الدين، فظاهره يبدي تناقضا صارخا بين جبر الطبيعة على ارتكاب الشرور ومسئولية الإنسان تجاه عواقب أفعاله. ومن هنا أيضا تبرز الضرورة لفك الغموض الملازم لهذه الجدلية، التي لم يقل عنها الدين الشيء الكثير إلاّ أنها طبع في تركيبة الإنسان، بينما يكون مطلب الفيلسوف هو تعقّل هذا الطرح، أي فهم أصوله التاريخية والنفسية والأسطورية. فكيف يفهم الفيلسوف اللاعصمة؟

2- التفكير الفلسفي والأنثروبولوجي لفهوم الخطأ واللاعصمة:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لقد عالجت الكثير من الفلسفات موضوع الخطأ. طبيعته، ارتكابه، وأصله وحدوده وغير ذلك من الأسئلة المتعلقة بهذا الموضوع. ولقد تقاطع هذا البحث مع مباحث فلسفية أخرى كالإرادة والحرية والمسؤولية وغير ذلك. أما الفيلسوف الفرنسي بول ريكور فيعالج هذا الموضوع في إطار أنثروبولوجية فلسفية تتخذ الإنسان في كليته مبدأ في هذه المعالجة. يقول في هذا الشأن: "كيف نحدد نقطة الانطلاق لأنثروبولوجيا فلسفية متموضعة تحت الفكرة الرئيسية للاعصمة" ويجيب بجذرية التفكير الفلسفي "من الإنسان ككل يجب علينا البدء". (بول ريكور، 2008، ص29). أي أنه لفهم فكرة اللاعصمة في جذرية تامة يجب أولا فهم الإنسان ذاته الذي اعتبر منذ الأزل أنه معطى لا يستحق التعريف، والحقيقة أنه من أكثر الأمور تعقيدا وغموضا على الإطلاق. والسؤال المركزي هنا هو بأي معنى يكون الإنسان خطاء؟ ما دلالات الخطأ الذي يقترفه الإنسان؟

يجيب بول ريكور "إمكانية الشر تبدو منقوشة في البنية الداخلية للواقع الإنساني". (بول ريكور، 2008، ص29). أي أن تكوين الإنسان يتيح هذه الإمكانية، إمكانية اقتراف الشرّ وارتكاب الخطأ. وأهم خاصية تتسم في تكوين الإنسان بالضعف. فالإنسان ضعيف بطبعه ومن ثمّ يمكنه أن يخطئ. "فالضعف يجعل الشرّ ممكنا بمعان متعددة". (بول ريكور، 2008، ص210).

إن فكرة اللاعصمة عند الإنسان أي إمكانية الخطأ يمكن إدراك سمتها العامة انطلاقا من الواقع الإنساني، فهذه السمة العامة هي عدم تطابق الإنسان مع نفسه وهو ما يسميه ريكور باللاتناسب. يقول في هذا الصدد: "اللاتناسب بين الذات والذات هو نفسه اللاعصمة". (بول ريكور، 2008، ص26) ولتوضيح معنى اللاتناسب يرجع ريكور إلى ديكارت الذي أبدع مفهوم الإنسان المتناهي – اللامتناهي أو ديالكتيك الوجود والعدم. وتعقيبا على هذه الرؤية الديالكتيكية يقول ريكور: "وفعلا، عندما لا أفكر سوى بالله، فإني لا أكتشف في نفسي أي سبب للخطأ أو الإثم ولكن بالعودة إلى نفسي، تقيدني التجربة بأنني رغم ذلك موضوع لا نهاية له من أخطاء". (بول ريكور، 2008، ص26) أي أن نفسي يتجاذبها قطبين فتطلّعي نحو الكمال المطلق وجهة الله لا تجعلني منقادا للخطأ، ولكن في المقابل، مشاركتي في العدم واللاوجود يجعلني معرضا للخطأ والإخفاق.

الواضح تبعا لهذا التوصيف يقول ريكور: "كما لو أنني نقطة وسط بين الله والعدم، أي موضوع بين الوجود الأعظم واللاوجود". (بول ريكور، 2008، ص27) على أن لا تأخذ فكرة الوسط أو الوسيط كحيّز أو

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مكان موجود بين أمكنة ما ينعكس على النظرة للإنسان باعتباره موضوع كغيره من الموضوعات، لأن الإنسان هو في حقيقته ذات، كما يؤكد بول ريكور. وانطلاقا من هذا الاعتبار فوسيطيته تتم في ذاته نفيا لكل تحيّز مكاني "فالإنسان ليس وسيطا لأنه بين الملاك والبهيمة، بل وسيط في داخله، بين ذاته وذاته. هو وسيط لأنه مزيج، وهو مزيج لأنه يقوم بتوسطات". (بول ريكور، 2008، ص27).

بالنسبة لريكور الذي يعتقد أن هذه الأنثروبولوجيا الفلسفية التي باشرها، والتي تتخذ من ما قبل الفلسفة دليلا وشاهدا ونقطة انطلاق تتلقف ما كان لتستأنفه عن طريق رؤية تفكّرية فلسفية إذ "الفلسفة لا تتبدى شيئا على الإطلاق بل هي باستنادها إلى اللا–فلسفة تعيش من مادة ما سبق فهمه دون تفكّر. (بول ريكور، 2008، ص30) وما سبق فهمه بالنسبة للاعصمة أي الما–قبل فهمية للإنسان اللاّمعصوم، يجدها بول ريكور فيما يسميه "مؤثرية البؤس".

إذا نحن مع القسم الأول لفرضية عمل ريكور، أي في الشق المقابل فلسفي حيث أهم تعابير هذا القسم والتي تؤسس للاعصمة الإنسان هي مصطلح "البؤس". يقول ريكور: "نبحث عن بعض التعابير المناسبة التي تتكلم عن ما قبل فهمية الإنسان لذاته كبأس" (بول ريكور، 2008، ص30) وهنا يستند إلى الرؤية الأسطورية الخالية من كل تعقل، أو بالأحرى الخالية من كلّ فهم، حيث يستند خاصة إلى أفلاطون صاحب المحاورات الخالدة، والتي استندت هي بدورها إلى أساطير قبل فلسفية تصوّر النفس كخليط خاصة في محاورات "الوليمة" و"فيدوس" و"الجمهورية". فالأسطورة هي بؤس الفلسفة. (بول ريكور، 2008، ص33) وفكرة "الخليط" هذه تتقاطع مع فكرة الوسيط المؤسسة لعدم تطابق الإنسان مع ذاته ومن ثمّ لا عصمته، ففكرتا "الخليط" و"الوسيط" سمتا البلاغة العظيمة للوضع البشري. (بول ريكور، 2008، ص202).

القسم الثاني من فرضية عمله هو الانتقال إلى التفكّر المتعالي حيث التوسط ظهر في ديالكتيك اللحظات الثلاث عند كانط: إثبات (بدئي)، سلب (وجودي) توسّط إنساني. "فالتوسطات المندرجة بين القطبين المتقابلين، من الجلي أن مصدر الفكرة إنما ينبغي البحث عنه لدى كانط" (بول ريكور، 2006، ص48). هذه التوسطات التي أشار إليها ريكور سواء في المرحلة الأسطورية أو الفلسفية كلّها تؤكد أن الوجود الإنساني يرتكز على عدم تطابق الإنسان مع نفسه، لا تناسب مع ذاته وبالتالي توسطيته التي تؤكد ضعفه الذي بدوره يسوّغ له ارتكاب الأخطاء. فلا عصمته مرتبطة أساسا ببنية الدور الوسيط المعالج بوصفه الموضع الرمزي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لمفهوم اللاعصمة الإنسانية. (بول ريكور، 2006، ص48)إذا نستطيع القول أن فعل التوسط المنقوش في بنية الإنسان هو سبب ضعفه وهشاشته وهو مظهر لاعصمته وبالتالي إمكانية اقترافه للشرور والأخطاء.

II المسار الأنثروبولوجي لتجربة الشرّ.

1- ماهية الشرّ: سؤال الأصل والمواجهة.

موصلة لاستعراض الأنثروبولوجيا الفلسفية لبول ريكور، نقابل مفهوما مركزيا آخر يضاف إلى المفهومين السابقين واللذين تمت الإشارة إليهما في الجزء الأول من هذه الدراسة وهما الخطأ واللاعصمة، أما مفهومنا الجديد فهو "الشر" le mal، وكما هو واضح فإن الحمولة الدينية لهذا اللفظ كبيرة. فكما هو معلوم جاءت الأديان لتحذّر من الشرّ، وتتوعد مقترفيه بالمقابل حببت الخير للناس وحثتهم على إتيانه. ولكن، لنا أن نتأمل عن نظرة الفلسفة في شقها الأنثروبولوجي للشرّ نستطيع أن نعود إلى عمل أصدره إيمانويل كانط سنة 1798، بعنوان "الأنثروبولوجيا من وجهة نظر براغماتية"، والذي تناول فيه سؤال رئيسي "ما الإنسان؟" فيما يتعلق بموضوعنا "مبحث الشر"، فإن كانط في إجابته على السؤال السابق يؤكد أن هذا السؤال تختص به المعرفة –معرفة العالم–، ولكنه يتموضع ضمن آفاق "استعمال العالم" ذلك أن الإنسان فاعل، أي أن وجوده يكون ضمن نطاق الفعل، وعليه، وعطفا على موضوعنا فهو يفعل الخير والشر. وعلى الرغم من أن هذان الفعلان (الخير والشر) مصدرهما واحد هو الإنسان فإنهما يختلفان من حيث شدّة تأثيرهما في حياة الناس.

ويبدو واضحا أن الشر أكثر تأثيرا وحضورا في واقع الناس من الخير، وهذا ما يدعو إلى محاولة فهم الشر، والإحاطة بجوانب تتعلق بأصله وكيفية مواجهته، وطريقة اجتنابه. ولقد أخذ بول ريكور على عاتقه هذه المهمة عن طريق إصداره مؤلفه المهم "التناهي والإثم" سنة 1960 بجزأيه "الإنسان الخطاء" و"رمزية الشر" حيث حلّل مسألة تجربة الشرّ عند الإنسان محاولا الإجابة عن جملة من الأسئلة المتعلقة بالشر. فبدأ بمحاولة الإمساك بكنه هذا المفهوم عن طريق سؤال ما هو الشر؟ ليجيب "أن الشرّ ليس شيئا يكون، ولا كائن له، ولا طبيعة لأنه منّا ولأنه عمل الحرية" (بول ريكور، 2005، ص321). ويعني هذا الكلام أن الشرّ لا شكل له ولا صورة محدّدة ومع ذلك فهو موجود ووجوده لا يترك أي خيار للإنسان سوى مواجهته عبر صراع الخير والشر. وقوله: لأنه منّا، يؤكد أنم الشرّ رافق الإنسان منذ لحظة وجوده، وبالتالي هو ملتحم

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بالإنسان عبر تاريخه. فأينما وجد الإنسان وجد الشر: "فإمكانية الشر تبدو منقوشة في البنية الداخلية للواقع الإنساني". كما يقول ريكور (بول ريكور، 2008، ص25).

وفي تحليله للشرّ يقرّ ريكور بأنه جذر لظاهرتين مترابطتين، ففي الوقت الذي يقع فيه الشرّ (يسميه الشرّ الفعلي) تبرز الظاهرتين السالفتين في شكل ظاهرة الشرّ المرتكب وظاهرة الشرّ المتلقى. يربط الأول بالخطأ ويربط الثاني بالألم. فالشرّ في نفس اللحظة يمثله شخص فاعل له وشخص متلقٍ لهذا الفعل "فإن الشر المرتكب من قبل أحدهم، يجد ردا عليه في الشرّ المتلقى من الآخر". (بول ريكور، 2008، ص222).

وعليه فإن أهم ما يميّز ظاهرة الشر المرتكب هو إمكانية تحميل المسؤولية، فمن يقوم بفعل الشرّ –الذي هو في جوهره حسب ريكور التسبب بآلام للأخر– لابدّ له من تحمل تبعات هذا الفعل، وبالتالي لابدّ من تقبل العقاب الذي هو تألم ردا على الألم الملحق بالآخر، وتندرج تحت هذا العقاب الآلام الجسدية والمعنوية.

أما الشرّ المتلقى، فإنه –كما أسلفنا– يسبب الألم للمتلقي ويجعل منه في نفس الوقت ضحية لأنه لا يتحمل مسؤولية هذا الشر. إذا هناك شرّ مرتكب يختلف عن شرّ متلقى، من قام بالأول اعتبر ما قام به خطيئة تستوجب العقاب ويصنف ضمن خانة المذنبين، أما من تلقى هذا الشر فقد تسبب له بآلام وأحزان وعليه فهو ضحية.

الأول يناله التأنيب، أما الثاني فتطاله الندوب التي تبقى شاهدة على الآلام التي سببها الإنسان للإنسان. يقول ريكور: "التألم يتميز عن الخطيئة بخطوط متغايرة، ففي الوقت الذي يركز فيه تحميل التبعة الشرّ على فاعل مسؤول، فإن التألم يبرز طابعه الأساسي كمتلقى، فنحن لم نتسببه، ولكنه يصيبنا...التألم يضع التدب مقابل التأنيب، لأنه إذا كان الخطأ يصنع من الإنسان مذنبا، فإن التألم يجعله ضحية". (بول ريكور، 2008، ص222).

2– مستويات الخطاب في تأمل الشرّ:

بالنسبة لبول ريكور فإن هناك مستويات عدّة للخطأ فيما يخص تأمل الشرّ، هذه المستويات تبدأ من الأسطورة مرورا بعدّة مراحل لكل منه خطابها الطي تتأمل فيه الشرّ. وصولا إلى مرحلة التفكير ثم الفعل ثم أخيرا مرحلة الشعور. ولقد اختمرت هذه المراحل وتغاضيت عن الأخرى لأن الأسطورة مرحلة البدء، والثلاث مراحل المتتالية هي مرحلة الوصول. أما ما تغاضيت عنه فهي مراحلة الوسط (الحكمة، العرفان، الديالكتيك).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ففيما يخص خطاب الأسطورة فإنه يركز على سؤال أصل الشرّ والإجابة الجاهزة لهذا الخطاب الأسطوري هي أن الشرّ ظهر مع أول البشر آدم أو بتعبير بول ريكور الأسطورة الكبرى للإنسان الأولي، صانع تاريخ الشرّ، يقول في هذا المعنى "الإنسان، إن لم يكن الأصل المطلق، فهو على الأقل نقطة انبثاق الشر في العالم. فقلد دخلت الخطيئة عن طريق إنسان واحد إلى العالم" (بول ريكور، 2005، ص322).

بعد هذه المرحلة تأتي –بعد اختزال بعض المراحل الوسطى- مرحلة مهمة بخطاب مختلف هي المتعلقة بالتفكير، حيث يهيم خطاب التحد. فهنا النظر في الشر يستدعي مفاهيم أخرى كالحرية والإرادة والخطيئة والذنب والصفح والألم والعقاب وغيرها من المفاهيم، إذا فالشر تحدٍّ كبير أما الإنسان.

المرحلة التي تلي هي مرحلة الفعل، وهذه المرحلة تقابلها مرحلة سابقة هي المتعلقة بالأسطورة، فإذ كانت هذه الأخيرة تلتفت إلى الماضي باتجاه الأصول التي انبثق منها الشرّ عبر سؤال: من أين يأتي الشرّ؟ فإن خطاب الفعل متعلق بمحددات عملية مطلوب منا فعلها، وعليه تكون وجهة هذا الخطاب هي نحو المستقبل، نحو ماذا يجب أن نفعل لصدّ الشرور التي يموج بها العالم. يقول ريكور: "إن جواب الفعل هو: ما العمل في مواجهة الشرّ؟ (بول ريكور، 2008، ص242. وهو يقترح بعض الأفعال التي تسهم في كبح تصاعد الشرّ، هذه الأفعال تصدر بتوجيه أخلاقي أو سياسي وكلاهما يستطيعان المساهمة في تقليل العنف الموجود في المجتمعات ومن ثمّ الإنقاص من الآلام والشرور. "إن فعل الشرّ هو فعل إيلام الآخر...وكل فعل أخلاقي أو سياسي يقلّل كمية العنف الممارس بواسطة لبشر بعضهم ضدّ بعض، ينقص معدلات الألم في العالم". (بول ريكور، 2008، ص242).

آخر مرحلة هي المرحلة المتعلقة بالشعور" والخطاب الذي يسود هذه المرحلة هو انفعالي ويعطي مثالا في الثقافة الغربية متعلق بالحداد.وفحوى هذا الخطاب هو التحولات في المشاعر بحيث تسهم في تقبل ما هو موجود من ألم أو شرّ، أي التنفيس عن طريق أشياء تؤثر إيجابا في مشاعر الناس.وبالنسبة لمثال الحداد يول ريكور: "فالحداد لبوصفه كفكك من كل الأربطة واحدة بعد الأخروى والتي تشعرنا بفقدان موضوع الحبّ، هذا الانفكاك يجعلنا أحرارا بانتظار توظيفات عاطفية جديدة؟ (بول ريكور، 2008،ص244).

الخاتمة:

إذا كانت مواضيع مثل: الخطأ الذي يقترفه الإنسان ومن ثمّ اعتبار الإنسان لا معصوم، وبالتالي إمكانية اقترافه للشر واردة. مواضيع ناقشتها الأديان السماوية وأعطت فيها تشريعات لا تقبل النقض، فإن نفس

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

هذه المواضيع من منظور أنثروبولوجي – فلسفي تأخذ بلا شك تحليلا مغايرا، لأن الأسئلة التي تطرح من هنا وهناك مختلفة. فبالنسبة للأنثروبولوجيا وللفلسفة عموما فإنها تهتم بفكرة الأصول، عبر سؤال لماذا يخطأ الإنسان؟ ومن أين جاء الشرّ لهذه الحياة؟ ما علّته؟

ولقد انبرى الكثير من الفلاسفة للإجابة عن هذه الأسئلة، ولقد كانت أهم الأطروحات تندرج في سياق أنثروبولوجي باعتبار هذا الأمر يمس الإنسان في تكوينه وفي إرادته والأهم من ذلك كلّه في أفعاله وأعماله.

ولقد كان الفيلسوف الفرنسي بول ريكور من أهم الفلاسفة الذين خاضوا في هذا البحث عن طريق الكثير من المؤلفات والأعمال، ومن ثم يعتبر ما توصل إليه من أفكار في هذا السياق نتائج لابدّ من أخذها بعين الاعتبار. وهي ثلاثة:

– بالمسبة للخطأ؛ فإن الإنسان يرتكب الخطأ لأنه ضعيف، فالضعف والهشاشة أهم سمات تكوين الإنسان، وهو ما يجعل الخطأ ممكنا.

– اللاعصمة: الإنسان غير معصوم، لأنه يتصف باللاتناسب؛ أي عدم تطابق الإنسان مع نفسه ما يؤدي به إلى إجراء توسطات، فهو وسط بين قطبين، مشارك فيهما معا.

– أما بالنسبة لتجربة الشر؛ فإن الشر وجد مع وجود الإنسان، انبثق في العالم عن طريق الإنسان، ومن ثمّ فلا مجال لاستبعاد هذه الشرور من حياة الناس، وإنما المطلوب مواجهتها بغية التقليل من آثارها على البشر، فالتحدي بالنسبة للمفكرين هو في الفعل المؤدي إلى إنقاص العنف والآلام في المجتمعات الإنسانية، فإذا تحقق هذا الأمر فهو يعتبر نجاحا كبيرا لاستحالة إزالة الشرّ نهائيا من الوجود.

قائمة المراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط3، 1999.

2- بول ريكور، فلسفة الإرادة- الإنسان الخطاء، تر: عدنان نجيب الدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2008.

3- بول ريكور، صراع التأويلات: دراسة هرمنيوطيقية. تر" منذر عياش، دار الكتتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

4- بول ريكور، فلسفة الإرادة: الإنسان الخطاء، تر: عدنان نجيب الله، المركز الثقافي العربي، الدار البضا، المغرب، ط2، 2008.

5- بول ريكور، بعد طول تأمل، تر: فؤاد مليت، المركز الثقافي العربي، الدار البضاء، المغرب، ط1، 2006.

6- بول ريكور، الانتقاد والاعتقاد، تر: حسن العمراني، دار توبقال، الدار البضاء، المغرب، ط1، 2011.

7- شهاب الدين أحمد بن محمد، نسيم الرياض في شرح شفاء بن عيّاض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.